بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، آله وصحبه أجمعين :

أما بعد: فإن قول جمهور السلف والمحدثين: أن الإيمان اعتقاد بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، غير أن له أصلاً وفرعاً، فأصله: الاعتقادُ بالقلب وذلك يشمل تصديقَ القلب، وعمَله الذي هو نيته وانقياده، والإقرارُ باللسان وذلك بالنطق بالشهادتين، فإذا جاء بهذا الأصل خرج من الكفر إلى الإيمان، ويستكمله بالعمل.

وعند أبي حنيفة وبعض الفقهاء: تصديق بالقلب وإقرار باللسان، وعند السادة الأشاعرة تصديق، واختلفوا في الإقرار باللسان، فقيل شرط صحة، وقيل شطر، إلا أن التصديق ركن لا يحتمل السقوط بحال، والإقرار قد يحتمل السقوط كما في حق الأخرس وغير المتمكن لأجل مانع، وأما العمل فهو عندهم شرط كمال.

والخلاف لفظي، فمن أخرج العمل عن مسمى الإيمان فمراده الإيمان المنجي، أي: مطلق الإيمان وأصله، ومن أدخله فمراده الإيمان الذي علق عليه الثناء والمدح، وهو الإيمان المطلق بمعنى شرائع الدين وهو المراد عند الإطلاق، فالقولان لم يتواردا على محل.

ومن قال بأن الشرطية لإجراء الأحكام في الدنيا فالخلاف معه حقيقي، وهو خلاف قريب.

والإيمان يزيد وينقص، وهو مذهب معظم السلف والمحدثين، وقيل لا يزيد ولا ينقص، إذ هو التصديق الجازم مع الإذعان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان، وهو لأبي حنيفة وطائفة واختاره إمام الحرمين.

ولاخلاف عند التحقيق، فمن قال بزيادته عنى بذلك زيادة الأعمال، ومن قال بعدم الزيادة أراد التصديق.

فأهل السنة متفقون على أن العمل كمال، خلافاً للخوارج والمعتزلة في جعلهم العمل شرط صحة في الإيمان، وهذا هو الفارق بينهم وبين السلف كما قرر ذلك ابن حجر في فتح الباري.

والاتفاق حاصل أيضاً على بطلان قول المرجئة لايضر مع الإيمان ذنب، وهذا هو الإرجاء المذموم.

فصل

وقد شذ بعض معاصرينا من متأخري الحنابلة في جعل جنس العمل شرطاً في صحة الإيمان، وجعلوا بذلك الخلاف بين المحدثين والأشاعرة خلافاً حقيقياً.

والحق أن ترك جنس العمل ليس بكفر مخرج من الملة، لتعليق النجاة من الخلود في النار، ودخول الجنة على الإقرار بالشهادتين، إخلاصاً وصدقاً ويقيناً.

كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن أنس بن مالك رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : «فأقول يارب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله فيقول وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله»

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: «قيل يا رسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة، قال: .... أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»

وفي صحيح مسلم عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال سَمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله وأنَّ مُحمداً رسول الله حرم الله عليه النار»

وفي الصحيحين عن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل قال: يا معاذ ابن جبل؛ قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: يا معاذ؛ قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ، ثلاثاً، قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ مُحمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلاَّ حرمه الله على النار»

وفي صحيح مسلم عن عتبان بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «فإنَّ الله قد حرَّمَ على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»

وله عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال له: «فمن لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بِها قلبه فبشره بالجنة»

وله عنه ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؛ لا يلقى اللهَ بِهما عبدٌ غير شاكٍّ فيهما إلاَّ دخل الجنة»

وبه صرح ابن عبد البر في التمهيد حيث قال: (من لم يصل من المسلمين في مشيئة الله إذا كان موحداً مؤمناً بما جاء به ﷺ مصدقاً مقراً وإن لم يعمل وهذا يرد قول المعتزلة والخوارج بأسرها ألا ترى أن المقر بالإسلام في حين دخوله فيه يكون مسلماً قبل الدخول في عمل الصلاة وصوم رمضان بإقراره واعتقاده وعقدة نيته فمن جهة النظر لا يجب أن يكون كافراً إلا برفع ما كان به مسلماً وهو الجحود لما كان قد أقر به واعتقده والله أعلم)

وقال ابن جرير الطبري في التبصير في معالم الدين حاكياً قول أهل السنة في الإيمان: (قال بعضهم الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح فمن أتى بمعنيين من هذه المعاني الثلاثة ولم يأت بالثالث فغير جائز أن يقال أنه مؤمن ولكنه يقال له إن كان اللذان أتى بها المعرفة بالقلب والإقرار باللسان وهو في العمل مفرط فمسلم)

وقال ابن حزم في المحلى (الإيمان والإسلام شيء واحد ... كل ذلك عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .... ومن ضيع الأعمال كلها فهو مؤمن عاص ناقص الإيمان لا يكفر)

فصل

ومراد السلف من لفظة الإيمان في قولهم الإيمان قول وعمل هو الإيمان المطلق، لا مطلق الإيمان، ومرادهم (بعمل) جميع الطاعات، لا جنس العمل كما يزعم البعض، فكلامهم في الإيمان الذي الذي به يستحق العبد المدح والولاية، كما قال ابن جرير الطبري في تهذيب الآثار (فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن اسم الإيمان المطلق إنما هو للمعرفة بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح دون بعض ذلك ...ولا يدفع مع ذلك ذو معرفة بكلام العرب صحة القول بأن الإيمان التصديق فإذا كان الإيمان في كلامها التصديق والتصديق يكون بالقلب واللسان والجوارح وكان تصديق القلب العزم والإذعان وتصديق اللسان الإقرار وتصديق الجوارح السعي والعمل كان المعنى الذي به يستحق العبد المدح والولاية من المؤمنين هو إتيانه بهذه المعاني الثلاثة)

وعلم مما تقدم أن نفي الإيمان عن تارك العمل في كلامهم إنما هو نفي للإيمان المطلق، كما قال ابن جرير الطبري في تهذيب الآثار (فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن اسم الإيمان المطلق إنما هو للمعرفة بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح دون بعض ذلك...ولا يدفع مع ذلك ذو معرفة بكلام العرب صحة القول بأن الإيمان التصديق فإذا كان الإيمان في كلامها التصديق والتصديق يكون بالقلب واللسان والجوارح وكان تصديق القلب العزم والإذعان وتصديق اللسان الإقرار وتصديق الجوارح السعي والعمل كان المعنى الذي به يستحق العبد المدح والولاية من المؤمنين هو إتيانه بهذه المعاني الثلاثة وذلك أنه لا خلاف بين الجميع انه لو أقر وعمل على غير علم منه ومعرفة بربه أنه لا يستحق اسم مؤمن وانه لو عرف وعلم وجحد بلسانه وكذب وأنكر ما عرف من توحيد ربه أنه غير مستحق

اسم مؤمن فإذا كان ذلك كذلك وكان صحيحاً أنه غير مستحق غير المقر اسم مؤمن ولا المقر غير العارف مستحق ذلك كان كذلك غير مستحق ذلك بالإطلاق العارف المقر غير العامل إذ كان ذلك أحد معاني الإيمان التي بوجود جميعها في الإنسان يستحق اسم مؤمن بالإطلاق)

ومراده بقوله: (غير مستحق ذلك بالإطلاق) نفي الإيمان المطلق مع بقاء مطلق الإيمان وهو ما يطلق عليه بقوله: (نثبته بالصلة والتقييد) وذلك في قوله: (والصواب من القول في ذلك عندنا في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن قول من قال يزول عنه الاسم الذي هو معنى المدح إلى الاسم الذي هو بمعنى الذم فيقال له فاسق فاجر زان سارق... فإن قال لنا قائل أفتزيل عنه اسم الإيمان بركوبه ذلك قيل له نزيله عنه بالإطلاق ونثبته له بالصلة والتقييد فإن قال وكيف تزيله عنه بالإطلاق وتثبته له بالصلة والتقييد قيل نقول مؤمن بالله ورسوله مصدق قولاً بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا نقول مطلقاً هو مؤمن إذ كان الإيمان عندنا معرفة وقولاً وعملاً فالعارف المقر المخالف عملاً ما هو به مقر قولاً غير مستحق اسم الإيمان بالإطلاق إذ لم يأت بالمعاني التي يستوجب بها ذلك ولكنه قد أتى بمعان يستحق التسمية به موصولاً في كلام العرب ونسميه بالذي تسميه به العرب في كلامها ونمنعه الآخر الذي تمنعه دلالة كتاب الله وآثار رسوله صلى الله عليه وسلم وفطرة العقل)

ونظير هذا: قول الأوزاعي ومالك وسعيد بن أنس: (لا إيمان إلا بعمل) وقول الأوزاعي أيضاً: (ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل) وقول الحميدي: (لا ينفع قول إلا بعمل) وقول سفيان بن عيينه: (لا يكون قول إلا بعمل) وقول إمامنا

الشافعي نقلاً لإجماع الصحابة والتابعين: (لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر) وقول أحمد: (الإيمان لا يكون إلا بعمل) وقول أبي عبيد القاسم بن سلام: (فلم يجعل الله للإيمان حقيقة إلا بالعمل على هذه الشروط والذي يزعم أنه بالقول خاصة يجعله مؤمناً حقاً وإن لم يكن هناك عمل فهو معاند لكتاب الله والسنة)

فليس المقصود من هذه الأقوال ونظائرها أن تارك العمل كافر. وإنما المقصود أنه لا يستحق اسم الإيمان المطلق بالقول دون العمل، وأنه لا كمال للإيمان إلا بالعمل، وهذا ما قرره الإمام أحمد، كما في السنة للخلال: قال عبد الملك قلت لأبي عبد الله تفرق بين الإيمان والإسلام قال نعم وأقول مسلم ولا أستثني .... قلت فإذا كان المرجئة يقولون إن الإسلام هو القول قال هم يصيرون هذا كله واحداً ويجعلونه مسلماً ومؤمناً شيئاً واحداً على إيمان جبريل ومستكمل الإيمان قلت فمن ههنا حجتنا عليهم قال نعم) وقال ابن عبد البر في التمهيد بعد حكايته للقول بعدم تكفير تارك الصلاة: (هذا قول قد قال به جماعة من الأئمة ممن يقول الإيمان قول وعمل وقالت به المرجئة أيضا إلا أن المرجئة تقول المؤمن المقر مستكمل الإيمان)

والحمد لله على توفيقه

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبه محمد بن زلالة الجَبَّاري الحَمَلي الهَمْداني